

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ

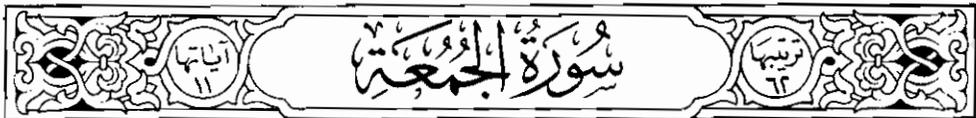
قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَمَا مَنَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال ﴿من أنصاري إلى الله﴾ أي من معيني في الدعوة إلى الله عز وجل؟ ﴿قال الحواريون﴾ وهم أتباع عيسى عليه السلام ﴿نحن أنصار الله﴾ أي نحن أنصارك على ما أرسلت به ومازروك على ذلك ، ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين ، وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج «من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً قد تمنعوني أن أبلغ رسالة ربي» حتى قبض الله عز وجل له الأوس والخزرج من أهل المدينة فبايعوه ووازره ، وشارطوه أن يمنعه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم ، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه ، وفوا له بما عاهدوا الله عليه ، ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار وصار ذلك علماً عليهم رضي الله عنهم وأرضاهم .

وقوله تعالى : ﴿فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة﴾ أي لما بلغ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه وأزره من وازره من الحواريين ، اهدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة ، فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم ، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة ، وغلت فيه طائفة من أتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة وافترقوا فرقاً وشيعاً فمن قائل منهم إنه ابن الله ، وقائل إنه ثالث ثلاثة : الأب والأبن وروح القدس ، ومن قائل إنه الله ، وكل هذه الأقوال مفصلة في سورة النساء .

وقوله تعالى : ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم﴾ أي نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى ﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ أي عليهم ، وذلك ببعثة محمد ﷺ ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله : حدثني أبو السائب ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن المنهال يعني ابن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال : إن منكم من يكفر بي اثني عشرة مرة بعد أن آمن بي ، قال : ثم قال أياكم يلقي عليه شيهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي ؟ قال : فقام شاب من أحدثهم سنناً فقال : أنا . فقال له : اجلس . ثم عاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا ، فقال : نعم أنت ذلك .

قال : فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى عليه السلام من روضة في البيت إلى السماء قال : وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شيهيه فقتلوه وصلبوه وكفروه بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمن به ، فتفرقوا فيه ثلاث فرق ، فقالت فرقة كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية . وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه إليه وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون ، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوا فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ ﴿فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة﴾ يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى والطائفة التي آمنت في زمن عيسى ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ بإظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار . هذا لفظه في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة ، وهكذا رواه النسائي عند تفسير هذه الآية من سننه عن أبي كريب عن محمد بن العلاء عن أبي معاوية بمثله سواء ، فأمة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح ، والله أعلم آخر تفسير سورة الصف ، والله الحمد والمنة .



عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين رواه مسلم في صحيحه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض ، أي من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها ، كما قال تعالى : ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ ثم قال تعالى : ﴿الملك القدوس﴾ أي هو مالك السموات والأرض التصرف فيها بحكمه ، وهو المقدس ، أي المنزه عن القائص الموصوف بصفات الكمال ﴿العزیز الحكيم﴾ تقدم تفسيرهما غير مرة . وقوله تعالى : ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم﴾ الأميون هم العرب ، كما قال تعالى : ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين أسلمتم؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾ وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم ، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر ، كما قال تعالى في قوله ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به ، وكذا قال تعالى : ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾ وهذا وأمثاله لا ينفي قوله تعالى : ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ وقوله ﴿لأنذرکم به ومن بلغ﴾ وقوله تعالى إخباراً عن القرآن : ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته ، صلوات الله وسلامه عليه ، إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم ، وقد قدمنا تفسير ذلك في سورة الأنعام بالآيات والأحاديث الصحيحة ، والله الحمد والمنة .

وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم ، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموح من السبل ، وقد اشتدت الحاجة إليه ، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، أي نزرأ يسيرا ممن تمسك بما بعث الله به عيسى بن مريم عليه السلام ، ولهذا قال تعالى : ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ وذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام ، فبدلوه وغيروه وقلوبه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكاً ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله ، وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها ، فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعددهم ، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم ، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى حاكم وفاضل لجميع الشبهات والشكوك والربب في الأصول والفروع ، وجمع له تعالى وله الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأولين ولا يعطيه أحداً من الآخرين ، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين .

وقوله تعالى : ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾ قال الإمام أبو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا سليمان بن بلال عن ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ قالوا : من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً ، وفيما سليمان الفارسي ، فوضع رسول الله ﷺ يده على سليمان الفارسي ثم قال « لو كان الإيمان عند الثريا لنالته رجال - أ رجل - من هؤلاء » ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق ، عن ثور بن يزيد الديلمي عن سالم أبي الغيث عن أبي هريرة به ، ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس ، لأنه فسر قوله تعالى : ﴿وآخرين منهم﴾ بفارس ، ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم ، يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى اتباع ما جاء به ، ولهذا قال مجاهد وغير واحد في قوله تعالى : ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ قال : هم الأعاجم وكل من صدق النبي ﷺ من غير العرب ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو محمد عيسى بن موسى عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ « إن في أصلاب أصلاب رجال ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب » ثم

قرأ : ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ يعني بقية من بقي من أمة محمد ﷺ . وقوله تعالى : ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أي : ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره ، وقوله تعالى : ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ يعني ما أعطاه الله محمدًا ﷺ من النبوة العظيمة وما خص به أمته من بعثه ﷺ إليهم .

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ

دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ

الْمَوْتُ الَّذِي يُفْرَرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلْفِقٌ كَمَا تُفْرَرُونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها : مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، أي كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها ، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه ، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه ، بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير ، لأن الحمار لا يفهم له ، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها ، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ وقال تعالى ههنا ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ . وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا ابن نمير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً والذي يقول له انصت ليس له جمعة » ثم قال تعالى : ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعتمت أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ أي إن كنتم تزعمون أنكم على هدى ، وأن محمداً وأصحابه على ضلالة ، فادعوا بالموت على الضلال من الفتن إن كنتم صادقين ، أي فيما تزعمونه .

قال الله تعالى : ﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ أي بما يعملون لهم من الكفر والظلم والفجور ﴿والله عليم بالظالمين﴾ وقد قدمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المباهلة لليهود ، حيث قال تعالى : ﴿قل إن كانت لكم الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ ولئن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون﴾ ، وقد أسلفنا الكلام هناك ، وبيننا أن المراد أن يدعو على الضلال من أنفسهم أو خصومهم كما تقدمت مباهلة النصراني في آل عمران ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ ومباهلة المشركين في سورة مريم ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يزيد الزرقى ، حدثنا أبو زيد ، حدثنا فوات عن عبد الكريم بن مالك الجزري ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : قال أبو جهل لعنه الله : إن رأيت محمداً عند الكعبة لأتبه حتى أطأ على عنقه ، قال : فقال رسول الله ﷺ « لو فعل لأخذته الملائكة عياناً ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ، ولو نخرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً » رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر ، عن عبد الكريم ، قال البخاري وتبعه عمرو بن خالد عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم ، ورواه النسائي أيضاً عن عبد الرحمن بن عبد الله الحلبي عن عبيد الله بن عمرو الرقي به أتم .

وقوله تعالى : ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملائكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ كقوله تعالى في سورة النساء ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ وفي معجم الطبراني من حديث معاذ محمد بن محمد الهذلي عن يونس عن الحسن عن سمرة مرفوعاً « مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين ، فجاء يسمى حتى إذا أعيا وانبهر دخل جحره فقالت له الأرض يا ثعلب ديني ، فخرج له حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فهات . »

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع ، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار ، وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من السنة التي خلق الله فيها السموات والأرض ، وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ، كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عبيدة بن حميد عن منصور عن أبي معشر عن إبراهيم عن علقمة عن قرع الضبي ، حدثنا سلمان قال : قال أبو القاسم عليه السلام « يا سلمان ما يوم الجمعة ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم الجمعة يوم جمع الله فيه أبواكم - أو أبوكم - » وقد روي عن أبي هريرة من كلامه نحو هذا فالله أعلم .

وقد كان يقال له في اللغة القديمة يوم العروبة ، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به ففضلوا عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق آدم ، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق ، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة كما أخرجها البخاري ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غداً والنصارى بعد غد » لفظ البخاري وفي لفظ لمسلم « أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق » .

وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي اقصدا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها ، وليس المراد بالسعي ههنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما يقرأنها ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾ فأما المشي السريع إلى الصلاة فقد نهي عنه لما أخرجه في الصحيحين ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » لفظ البخاري وعن أبي قتادة قال : بينما نحن نصل مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع جلبة رجال ، فلما صلى قال « ما شأنكم ؟ » قالوا : استعجلنا إلى الصلاة قال « فلا تفعلوا ، إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » أخرجه . وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن اثرتها تمشون ، وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » . رواه الترمذي من حديث عبد الرزاق كذلك ، وأخرجه من طريق يزيد بن زريع عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة بمثله ، قال الحسن : أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع . وقال قتادة في قوله ﴿ فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ يعني أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها ، وكان يتأول قوله تعالى : ﴿ فلما بلغ معه السعي ﴾ أي المشي معه ، وروي عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحو ذلك .

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها ، لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » ولها عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام ، يغسل رأسه وجسده » رواه مسلم ، وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « على كل رجل مسلم كل سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة » رواه أحمد والنسائي وابن حبان .

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ ﴿١٥﴾

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أوس بن أوس الثقفي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها» وهذا الحديث له طرق وألفاظ ، وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» أخرجاه .

ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر . وفي حديث أبي سعيد المتقدم «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والساوك وأن يمس من طيب أهله» ، وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي عن عمران بن أبي يحيى ، عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أيوب الأنصاري : سمعت رسول الله ﷺ يقول «من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع إن بداله ولم يؤذ أحداً ، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي كانت كفارة لما بيننا وبين الجمعة الأخرى» . وفي سنن أبي داود وابن ماجه عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته» وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة ، فرأى عليهم ثياب النهار فقال «ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعه سوى ثوبي مهنته» رواه ابن ماجه .

وقوله تعالى : ﴿إِذَا نُوذِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر ، فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد ، فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فإنما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخاري رحمه الله حيث قال : حدثنا آدم هو ابن أبي إياس ، حدثنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن السائب بن يزيد قال : كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ، فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس ، زاد النداء الثاني على الزوراء يعني يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء ، وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا إبراهيم ، حدثنا محمد بن راشد المكحول عن مكحول أن النداء كان في الجمعة مؤذناً واحداً ، حتى يخرج الإمام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع إذا نودي به ، فأمر عثمان رضي الله عنه أن ينادي قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس . وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان ، ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الأعذار ، كما هو مقرر في كتب الفروع .

وقوله تعالى : ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة ، ولهذا اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني ، واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه ، والله أعلم . وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم أي في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون . وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أي فرغ منها ﴿فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله ، كما كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إني أجببت دعوتك واصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقتي من فضلك وأنت خير الرازقين : رواه ابن أبي حاتم .

وروي عن بعض السلف أنه قال : من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة برك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ وقوله تعالى : ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكراً كثيراً ، ولا تشغلوا الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة ، ولهذا جاء في الحديث «من دخل سوقاً من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة» وقال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً .

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة ، يوم الجمعة ، إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ

فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفضوا إليها وتركوا قائماً ﴾ أي على المنبر تخطب ، هكذا ذكره غير واحد من التابعين ، منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقاتدة ، وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم ، وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر إلا القليل منهم ، وقد صح بذلك الخبر فقال الإمام أحمد : حدثنا ابن إدريس عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال : قدمت غير مرة المدينة ، ورسول الله ﷺ ، يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلاً فنزلت ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفضوا إليها ﴾ أخرجاه في الصحيحين من حديث سالم به .

وقال الخافظ أبو يعلى : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال : بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فقدمت غير إلى المدينة فابتدورها أصحاب رسول الله ﷺ ، حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فقال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لو تابعتهم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادني ناراً» ونزلت هذه الآية ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفضوا إليها وتركوا قائماً ﴾ وقال : كان في الاثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفي قوله تعالى : ﴿ وتركوا قائماً ﴾ دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائماً . وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال : كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس ، ولكن ههنا شيء ينبغي أن يعلم وهو : أن هذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة ، كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل ، حدثنا محمود بن خالد عن الوليد ، أخبرني أبو معاذ بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان يقول : كان رسول الله ﷺ يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين ، حتى إذا كان يوم والنبي ﷺ يخطب ، وقد صلى الجمعة ، فدخل رجل فقال : إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة ، يعني فانفضوا ولم يبق معه إلا نفر يسير وقوله تعالى : ﴿ قل ما عند الله ﴾ أي الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة ﴿ خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴾ أي لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته . آخر تفسير سورة الجمعة والله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾
 اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
 فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ
 صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخْذِرْهُمْ فَغَالِبُكُمْ إِنَّهُ يُبْذَرُ كَذِبًا

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين أنهم إما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي ﷺ ، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله ﴾ أي إذا حضروا عندك واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليس كما يقولون ، ولهذا اعترض بحملة مخبرة أنه رسول الله فقال ﴿ والله يعلم أنك لرسوله ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ أي فيما أخبروا به وإن كان مطابقاً للخارج لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ، ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم .

وقوله تعالى : ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ﴾ أي اتقوا الناس بالآيمان الكاذبة والحلفان الأثمة ليصدقوا فيما يقولون ، فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم ، فاعتقدوا أنهم مسلمون ، فرموا اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما